الموسم

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

مجلة الموسم (العدد 17) – 1994 – 1414

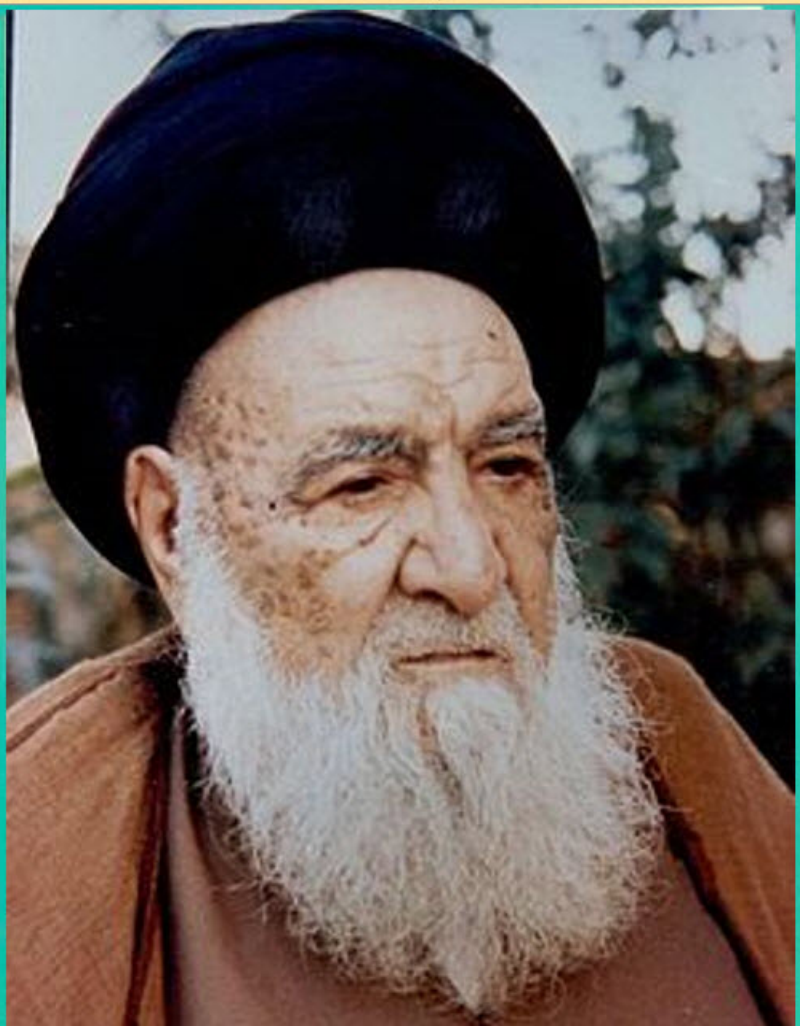

آرشيو مخطوطات
نازه رضا عوض الحلبية
٢١٢٣٠

الرافد

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها

محمد سعيد الطريحي

Shiabooks.net

١٧

ترسل جميع المراسلات والطلبات باسم صاحب المجلة الى :

المركز الوثائقي لتراث اهل البيت عليهم السلام

اكاديمية الكوفة

«مؤسسة مسجلة في المملكة الهولندية»

KUFA ACADEMY
POST BUS 1113
3260 AC OUD - BEIJRLAND
[HOLLAND] - TEL, FAX: 01860 - 20712

الاشتراك السنوي ١٠٠ دولار امريكي

جولة في مكتبة الامام الخوئي

السيد احمد الحسيني الاشكوري

بين آونة واخرى كانت الزيارات تتبادل بين الامام الخوئي (قده) والسيد الوالد (ره) ، في المناسبات الدينية او الاجتماعية والاخوانية المعهودة بين رجال العلم والدين في النجف الاشرف ، اذ كانوا يهتمون بهذه المناسبات الودية وقلما نجد مثلها في بقية حواضر العلم التي رأيناها .

ونحن الناشئة الجدد على الحوزة العلمية النجفية كنا نعرف الامام الخوئي شخصية علمية من افضل المدرسين في المستوى الاجتهادي ، له آراء تاسيسية في علمي الاصول والفقه بالاضافة الى اطلاعه الواسع بالعلوم الاخرى ومحاضرات فيها العديد من الآراء والنظريات يحضرها الكثير من الطلاب البالغين الى مستوى الاجتهاد او قريباً من ذلك .

هكذا كان يحدثنا اساتذتنا ونحن لانزال في المرحلة الاولى من الدراسة الحوزوية ، ولم نكن ندرك اعماق شخصيته الفذة حق الادراك لاننا لم نتوفر فينا بعد المعدات التي تؤهلنا للنظر في مثل هذه الامور المحتاجة الى كثير من المرونة العلمية والمؤهلات الزمنية .

ان اول خاطرة استرعت انتباهي لمعرفة بعض جوانب عظمته في عمق ثقافته ، الجلسة التي حضرها في بيت السيد الوالد وفداً بها زيارة والدي للسيد ابيه (المرحوم السيد علي اكبر الخوئي) حينما جاء الى النجف الاشرف لزيارة الامام امير المؤمنين عليه السلام . لقد كانت الاحاديث الدائرة في تلك الجلسة شيقة جداً بالرغم من تشعبها وتنازلها للادب والتاريخ والاديان القديمة والبدع الحديثة ، فكان السيد يتحدث فيها كأنه يقرأ في كتاب مفتوح بين يديه او قد بحث عنها وتعمق فيها منذ ايام قريبة . هذه الجلسة شدتني اليه وصرت اتردد على مجالسه لانهل من نميره العذب الفياض واستقي من علمه الغزير .

لم اوفق للحضور في حلقات درس سيدنا الخوئي في الاصول والفقه وانما وفقت للحضور في محاضراته التفسيرية التي كان يلقيها في مسجد الخضراء ليالي العطل بعد صلاة المغرب والعشاء .

لغته في المحاضرة اللغة العربية ، وكان يستعمل هذه اللغة لافادة التلامذة الوافدين على النجف من مختلف الجاليات الاسلامية . ولكنه كان مسترسلاً في الالقاء ضمن التعبير لاتعقيد في كلامه ولا غموض ، بل يؤدي ما يريد بأخصر عبارة واوضحها بدون اسهاب وتطويل بالرغم من شدة غموض موضوع البحث في حالات كثيرة .

يركز على الموضوع الذي يريد البحث فيه ، فلا يبتعد عنه بتكثير الشواهد واطالة الكلام فيما ليس من صلب المسألة . وبهذا كان يوفر على طلابه في الوقت ويفيض عليهم عطاءً علمياً واسعاً في مدة قصيرة ، اذ لم تكن محاضراته تتجاوز في اكثر الحالات من الخمس والعشرين دقيقة او نصف ساعة .

لايفسح المجال للاشكال عليه اثناء المحاضرة - كما هو المعتاد في الدروس العالية للحوزة النجفية - لانه يرى هذا اضاعة للفرصة على الآخرين في استماع الدرس والاستفادة المتوخاة ، بل على الطالب ان يقدم ما عنده من النقد والاشكال بعد انتهاء المحاضرة وحينما يجلس السيد لهذا الغرض يعرض للاشكال ويرد عليه اولاً بالمناقشة ثم بالحل محاولاً صقل ذهنه وفتح آفاق جديدة عليه .

اما الصعب الذي يراد منه الجدل واظهار العلم ، فجوابه السكوت والنظر الحاد في وجه المجادل . واذا استمر القول والمجادلي في اضاعة الوقت ، فجزاؤه نكتة ظريفة تضحك الآخرين .

رحم الله صديقنا ابا امين العلامة السيد جمال الدين الخوئي ، كانت تضمنا اليه حلقات الاصدقاء في «مدرسة الفليلي الاكبر» حيث كنت طالباً مقيماً بها والسيد الصديق يتردد عليها لدرس له في «كفاية الاصول» يلقيه على جماعة من تلامذته .. كان يكرر قولته : ان والدي لا يعرف الا الكتب ويعجبه ان تسقط من جوانبه يقرأ في هذا مرة وفي هذا مرة ، كأنه نسي المرجعية التي هي من حقه وقد انيطت الى آخرين ، أليس هو اعلى المدرسين في هذا العصر شأناً واوسعهم علماً واكثرهم تلامذة ؟!

صدق ابو امين ، لقد كان اعز الاشياء عند والده هو البحث العلمي والقراءة في الكتب بشتى مواضيعها ومختلف مذاهبها ، اما بقية الشؤون فكانت عنده في الرتب المتأخرة .

وضمت مكتبة السيد الامام كتباً لم تضمها النجف وجودها في مكاتب العلماء المشتغلين بالفقه والاصول المنصرفين الى العلوم الدينية البحتة ، فانهم اعتادوا اقتناء كتب ومصادر خاصة بالتفسير والكلام والفقه والاصول والحديث والرجال وما اشبه هذا مما يتناول الثقافة الاسلامية بالمعنى المعروف بينهم . اما كتب التواريخ المعاصرة والاديان والمذاهب الخارجة عن نطاق الاسلام والتي يعتبر الكثير منها - في عرفهم الديني - من كتب الضلال وهكذا آثار كبار الكتاب المعاصرين ومن يقرب من عصرنا من ذوي الآراء والافكار الجديدة الداعية الى انحلال القيود في الدين والاخلاق والادب والتاريخ والاجتماع .. فهذه كلها لا تسترعي الاهتمام من الفقهاء ورجال الدين .

كشفت هذا السر عند كتبي يدعى محمد جواد الكتبي في (قيصرية علي آغا) ذهبت حسب العادة الى هذه القيصرية الخاصة ببائعة الكتب ، لارى هل من جديد في عالم المطبوعات ، فرأيت عنده صفحات ورقية اكثر من ثلاثمائة كتاب كلها في العقائد الباطلة بقلم كتاب العصر ، وعندما سألته من صاحبها عرفت انها لسيدنا الاستاذ جيء بها الى هذا الكتبي للتجليد .

اثارت هذه الكتب دهشتي في حينه ، ولكني علمت بعد ذلك ان السيد كان من تلامذة العلامة الشيخ محمد جواد البلاغي ، وهو معروف بمصنفاته في

رد اليهود والنصارى وجملة من الاديان الباطلة المعاصرة ، وتلميذه كان ينحو نحوه في تتبع ما يصدر عن الكتب العقائدية التي يكتبها غير المسلمين او من يدعي الاسلام من المنحرفين المناهضين له ، وذلك للرد عليهم ومناقشة مذاهبهم وتزييفها . وعندما توثقت صلاتي بالاستاذ العظيم واطلعت على مكتبته من قريب رأيت ان هذه العناية لم تكن خاصة بكتب العقائد فحسب بل شملت كتباً تتناول الثقافات الاخرى كما قلت .

وبهذا الصدد اود ان اصارح القارئ الكريم بانني اطلعت على كتب نادرة الوجود في النجف وقرأتها من هذه المكتبة ، بالاطلاع عليها عرفت سر سعة أفاق السيد صاحبها .

تشجيع الطالب من اهم مايمكن دفعه به الى الاستقامة في طلب العلم والصمود امام المشاكل التي تعترض طريقه حين الطلب ، فهو اذا لم يشجع تنهار قواه المعنوية بسرعة ويترك الدراسة الجادة لاسباب تافهة يعانيها او يتصور انه يعانيها من مشاكل الحياة ، وكثيراً ما يصادف ان تشجيعاً -علنا نحسبه عديم الخطر- يسبب التقدم الباهر لمن يُشجع ويبقى اثره المستحسن في نفسه الى آخر الشوط . والتشجيع ليس بالمادة والمنح والهبات والعطايا المادية وحدها ، بل ربما ابتسامة خفيفة في وجه الطالب او الاستماع الجاد لما يقول او الاصغاء لما يشتكي من الآلام او الاجابة الهادئة على ما يسأل .. تبعث فيه روح الجد وتزيل منه الكسل فيندفع الى مواصلة الليل بالنهار للمزيد من الدرس والبحث والتحقيق .

هذه خصلة ممتازة لمستها عند السيد الاستاذ وخصاله الحميدة وغيرة لايمكن عدها في هذه السطور . انه يستمع الى من يستشكل عليه من تلامذته والناشئة من اهل العلم ، يستمع اليهم بكل وجوده ثم يجيب باعصاب هادئة على ما استشكلوا من دون برم او حدة ، وتكون اجوبته على الاكثر اولاً بالنقض ثم بالحل ، فيبدأ بالنقض ليوسع المجال في القول على المستشكل ويكون فيه تشحيذ ذهن الطالب وتقويه على المناقشة العلمية وتدريبه على البحث والمناظرة وبعد ذلك يأخذ في حل الاشكال وايقاف الشخص على مواضع ضعفه فيما ارتآه.

ما رأيت منذ ان عرفته حتى فارقته شيئاً من الكبرياء والعجرفة كما قد يرى في بعض ضعفاء النفوس من المتسمين بالعلماء ، فهو يجالس تلامذته والمستفيدين منه كأنه واحد منهم ، لا ميزة بينه وبينهم الا ماكان منهم من رعاية جانب احترام الاستاذ وتعظيم مقامه . واخلاقه هذه كانت تحثهم على الانطلاق في السؤال والجواب والمناقشات العلمية ، ويشجعهم على ان لا يقفوا عند حد محدود من الطلب والتعلم ، ويربيهم عملاً على السلوك الافضل الذي يجب ان يكون عليه من تولى منهم الزعامة العلمية في مستقبل الايام .

وحتى الخطباء كان لهم نصيب وافر من هذا النوع من التشجيع ، فكم رأيت السيد في مجالس عامة يستمع الى الخطيب ويتطلع اليه بملء عينيه كأنه يسمع موضوعاً جديداً وبحثاً شيقاً لم يطرق سمعه ، بالرغم من ان الخطيب لم يتكلم الا بما هو تكرار للمكرر واعادة لما قيل مرات ومرات .

التواضع العلمي والاعتراف بالفضل وتقدير الفضلاء من مميزات سيدنا الاستاذ واخلاقه الحسنة ، لم يحاول في وقت من الاوقات بخس مقام انسان في الفضل والعلم ولو لم يكن ذلك الانسان ذا مكانة اجتماعية مرموقة . انه كان يقدر العلم والعلماء خارجاً عن نطاق الاعتبارات المألوفة في عرف الناس . فلو سمع من شخص نظرية علمية طريفة ، او رأى منه بحثاً تحقيقياً فيه فائدة او جدة ، او ابدى ملاحظة على موضوع من الاستاذ وغيره .. لم تمنعه مكانته الكبيرة في النفوس ومقامه العلمي الرفيع من التنويه بذلك الشخص وتقدير جهده في الموضع المناسب .

كم شاهدنا في حياتنا العلمية القصيرة اناساً سرقوا جهود الآخرين ونسبوها الى انفسهم ، بل استولوا بطريق من الطرق على كتب كاملة التأليف ثم نشروها باسمهم من دون تورع او وازع اخلاقي . اذا قارنا بين امثال هذه الطغمة العديمة الوجدان وبين من يعترف لكل ذي فضل فضله ، عرفنا مدى طهارة نفوس هؤلاء المقدرين للعلم الموفين حق العلماء .

زرت السيد في بيته عصر ذات يوم ، وبعد ان سألني عن احوالي وعاتبني على قلة زيارته ، ابدى رغبته للنظر في رجاله «معجم رجال الحديث» واعطاه ملاحظاتي في تنظيمه لو كان لي ملاحظة فيه ، فاعتذرت عن ذلك احتشاماً من مقامه السامي ، لكنه اصر على ما امر ، فلم يكن مني الا الرضوخ لما اراد .

جاؤوا بمجلد من الرجال -ولم يكن الكتاب مطبوعاً انذاك- ولا انسى انه كان خرف العين منه ، وبعد قراءة فيه طالت دقائق يسيرة ابديت ملاحظتين اثارتا بعض المناقشة الا انه اقتنع بهما وقال : لقد زدت في عملنا ولابد من اعادة النظر في الكتاب وتلافي ما فاتنا من التنظيم .

ان الملاحظتين لم تكونا ذات خطر او اهمية ، وكان بامكان السيد ان يأخذ بهما من دون ان يصرح بما قال كما يصنعه كثير من معاصرينا ، ولكن خلقه الكريم هو الذي دفعه الى قبولها وعلم ان فيها تشجيعاً لتلميذ من صغار تلامذته ربما يكون نبراساً لطريقه في العلم والتحقيق .

انه لم يقتنع بالتقدير اللساني بل احب ان يشفع ذلك بالتقدير المادي ، فارسل لي تباعاً اجزاء الرجال الى ايران حتى الجزء السابع عشر ، واحتفظ بتلك الدورة في مكتبتي اعتزازاً بخط الاستاذ الابوي .